تأثير الإعلام في الحدث السياسي

أكرم حمدان(*)

أصبح الإعلام اليوم المصدر الأَول لتشكّل الرأي العام وصناعته، ولأخذه في اتجاهات إيجابية أو سلبية، ولعل أبرز مثال على ذلك ما حصل أخيراً في عدد من الدول العربية، إذ لعب الإعلام دوراً أساسياً في إشعال التحركات الشعبية، وخصوصاً وسائل الإعلام الحديثة (الفايسبوك والتويتر والمواقع والمدونات الإلكترونية) إضافة طبعاً لوسائل الإعلام المرئية، ما يعني إن الإعلام لا يُساهم فقط في تشكل رأي عام وصناعته، بل يساهم أيضاً في خلق واقع آخر مغاير، لأنه يؤمّن نوعاً من «الحصانة» لكل شعب راغب في أن يخوض «مغامرة» الحرية والديمقرطية.

ويتفق الباحثون في أثر الإعلام في السياسة على وجود علاقة وتأثير متبادلين بين الإعلام وصانعي الحدث السياسي، خصوصا لجهة دور الإعلام في تشكيل البرنامج السياسي لأي سلطة والتأثير على نتائج الانتخابات وتوجيه السياسات العامة.

وتؤكد بعض الدراسات العلمية التي أجريت في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات أن تصريحات وأعمال الرؤساء الشعبيين التي تنقلها وسائط الإعلام تؤثر فعلاً على الرأي العام، ويصل المجهود الرئاسي الفعال إلى إحداث تغيير في الرأي العام بنسبة ٥ بالمئة أو ١٠ بالمئة خلال بضعة أشهر.

وتقوم وسائل الإعلام والاتصال بدور الوسيط في الاتصال السياسي، وتساهم في صياغة وتشكيل الحقيقة السياسية في المجتمعات الديمقراطية التي تمنح وسائل الإعلام حرية التعبير عن القضايا التي تشغل

(*) صحافي برلماني.

جماهير المجتمع، وتعتبر وسائل الإعلام مرآة المجتمع العاكسة لأهم القضايا التي تثير الساسة وصناع القرار.

وبما أن الإعلام السياسي يمثل العمود الفقري لأداء وسائل الإعلام الحديثة، ونظراً للعلاقة العضوية التي تربط هذا الإعلام بالسلطة، فإنه يتمتع بدور هام وأساسي يتمثل بتزويد المواطنين بالمعلومات والقرارات السياسية التي تساعد على تكوين رأي عام موحد يدعم توجهات النظام السياسي ويبرز السياسات العامة للدولة في المجالين الداخلي والخارجي.

ويفترض بالإعلام السياسي أن يُمارس النقد البناء لتصحيح مسار العمل العام وكشف سلبياته، وأن يقوم بالدعوة للإصلاحات السياسية الهادفة إلى تحقيق البناء الاجتماعي والاقتصادي وعرض وجهات النظر التي يتداولها الناس حول القضايا والمشكلات السياسية، إضافة إلى أدوار أخرى يمكن أن يلعبها هذا الإعلام في مجالاته المتخصصة التي تندرج تحت عنوان الإعلام السياسي، وتحمل عناوين أخرى كالإعلام المحلي والاقتصادي والسياحي والعسكري والديني والتربوي والبيئي والرياضي والعلمي، وكذلك الإعلام الإلكتروني والإعلام البرلماني الذي أصبح إعلاماً متخصصاً له دوره في التأثير على الأحداث والقرارات السياسية وخصوصاً في لبنان.

ويقتضي العمل في مجال الإعلام السياسي، توفير مجموعة من المتطلبات والعوامل والمواصفات أهمها إدراك دور هذا النوع من الإعلام في توعية الجماهير والابتعاد عن المعالجة السطحية للقضايا والمشكلات السياسية وعدم تكرار البديهيات والمسلمات السياسية، والمصداقية والموضوعية في عرض القضايا السياسية، وعدم تضخيمها بما يتجاوز القدر الذي تستحقه، والقدرة على التوازن بين ضرورات السرعة في توصيل المعلومات والأخبار السياسية إلى الناس وبين التدقيق في مضمون هذه المعلومات، والإلمام بالمصطلحات والمفاهيم المستخدمة في مجال السياسة وعدم الانسياق وراء دوافع الضغط التي تولدها طبيعة العمل السياسي والالتزام بالمبادئ الأساسية التي تحكم هذا العمل في الدولة وإبراز الاتجاهات الفكرية والممارسات السياسية التي ترسخ هذه المبادئ.

ويعتبر الحدث أو الاتصال السياسي، النشاط السياسي الذي يقوم به الساسة والإعلاميون وأفراد المجتمع الذي يعكس أهدافاً سياسية محددة، تتعلق بقضايا البيئة السياسية، وتؤثر في الرأي العام والحياة الخاصة للأفراد والشعوب من خلال وسائل الاتصال المتنوعة، وهو ما يعكسه نشاط الساسة داخل الحكومة وخارجها، الذين يتخذون من وسائل الإعلام منبرا لإيصال أصواتهم إلى الشعب، أو نشاط الإعلاميين الذين يشاركون السلطة في صناعة القرار وفي العملية السياسية.

ولا تقتصر عناصر صنع الأهمية بالنسبة لحدث سياسي معين على المهتمين من البشر وعددهم بالنسبة لكل حدث، لأن حدثا سياسيا قد يكون هو الأهم بالنسبة للعالم او بالنسبة لمنطقة معينة، ولكن فجأة يبرز حدث آخر يسرق الأضواء من الحدث الأول ويجعله أقل أهمية، ولكن يجب أن يكون الحدث السياسي الجديد على قدر من الاتصال بالحدث السابق

على الأقل من حيث المهتمين من البشر في الحدث الأول.

والإعلام هو الذي يصنع أكثر من ثلاثة أرباع أهمية الحدث السياسي، فأينما سلطت أضواء الإعلام على حدث ما، فإنه يصبح هو الأهم بالنسبة إلى الناس، إلا أن ذلك لا يلغي أن الحدث قد تفرض أهميته البالغة نفسها على وسائل الإعلام، ولكن أيضاً قد تقف وسيلة إعلام معينة وراء حدث معين فتضخمه أكثر من سواه وتجعل أهميته أكبر من حجمه، ألم تكن الصومال مثلاً، عبارة عن جرح نازف، ولكن الإعلام لم يجعلها الحدث المهم، ومن المعروف أن الرئيس الأميركي باراك أوباما فرض على إسرائيل وقف الحرب الأولى على غزة قبل ثلاثة أيام من حفل تنصيبه رئيساً، لأن الحرب لو استمرت لكانت جعلت حفل تنصيبه من غير أهمية.

إن نجاح صناعة الوعي السياسي يعتمد على القدرة على الاتصال بالجماهير، وعلى نوع مهارات الاتصال، وطريقة مخاطبة الجمهور، وموقع الشخص الذي يمارس الوعي السياسي والأدوات التي يمتلكها، فالاتصال بالناس من خلال الراديو يختلف من حيث الأسلوب والمهارة عن الاتصال بالأفراد من خلال التلفزيون، والاتصال بطلاب الجامعات يختلف بين الطالب والمدرس أو الموظف من حيث الوسائل والأدوات والمهارات.

ويبرز الدور المهم للإعلام السياسي بإعتباره ذلك الجزء من النشاط الاتصالي الذي تقوم به الهيئات المتخصصة في بث المعلومات والأفكار والمواقف عن الشؤون الحكومية، وهو أيضاً تلك الجهود الواعية لنشر أفكارٍ ومعتقداتٍ من أجل ترسيخ وجهة نظر الدولة في نفوس الشعب، وهو العمود الفقري لأداء وسائل الإعلام الحديثة، لأن الإعلام والسياسة وجهان لعملة واحدة، وهذا الإعلام يغلب عليه طابع السياسة والفكر والدعاية والدعوة ويستهدف تغيير أو تثبيت اتجاهات الجماهير.

دور الإعلام اللبناني وتأثيره في الحدث السياسي

أما دور الإعلام اللبناني وتأثيره في الحدث السياسي، فربما يتنوع ويختلف ما بين المرئي والمسموع والمكتوب، دون إغفال دور الإعلام الإلكتروني الحديث الذي لا يزال غير مقونن في لبنان قياسا لباقي أنواع الإعلام.

- **الإعلام المرئي:** لقد قسم الإعلام المرئي في لبنان على أساس مبدأ المحاصصة الطائفية والمذهبية، وليس على أساس التنافس الإعلامي الحر والديمقراطية المتنوعة التي تنتمي اليها القدرات الإعلامية والمهارات والكوادر الإعلامية المختلفة من اللبنانين كافة.ويبقى التلفزيون الرسمي (تلفزيون لبنان) الحلقة الأضعف بين كل المحطات التلفزيونية اللبنانية والعربية، لكونه التلفزيون الوحيد الجامع في بلد يختلف فيه ابناؤه على كل شئ إلا أنهم يتفقون على أن التلفزيون اللبناني الرسمي ضعيف وغير قادر على النهوض وحده والوقوف بمواجهة المحطات الأخرى لكي يكون تلفزيوناً جامعاً لكل اللبنانين وليس لفئة أو طائفة معينة، ومحتضناً للخبرات والكوادر المختلفة كافة.

وتتميز القنوات اللبنانية عن غيرها من القنوات العالمية بافتتاحية النشرة الإخبارية بما بات يعرف بالمقدمة اليومية للنشرة الإخبارية،

فبات الرأي السياسي للمحطة يطرح على الشاشة الصغيرة، في حين أن المحطات العالمية الكبرى لا تستهل بثها الإخباري بمقدمة. فقناة الجزيرة أو العربية أو CNN لا تعمل وفقا لهذا المقياس، ولا توجد جامعة في العالم يدرَّس فيها الإعلام،تتبع هذا الشكل او الأسلوب المتبع في المحطات اللبنانية.

وليس هناك مادة في قانون تنظيم الإعلام المسموع والمرئي تجيز ذلك، وإنما أصبح هذا عرفاً متبعاً، والعرف يصبح بمثابة القانون في لبنان، وهذه المقدمة المعمول بها قد تختلف في طبيعتها ومضمونها بين رئيس تحرير نشرة وآخر حسب الانتماء السياسي والفكري، وقلة هم الذين يلاحظون هذا الاختلاف في النشرات اليومية.

لقد اصبحت مقدِّمات نشرات الأخبار في الأَقنية اللبنانية إعلاناً لهويّة المحطة ونشرةً توجيهية لجمهورٍ يتماثل في السلوك الثقافي والاجتماعي والطائفي مع المحطة التي اختارها، فالبحث لم يَعُدْ عن الخبر والصورة والمعلومة الأدقّ، بل يقعُ الناقل والمتلقّي في حالةٍ مُغلَقة من «الطرب التلفزيوني» الذي يستجيب لعواطف وغرائز ورغبات السامع والمشاهد على طريقة «ما يطلبه المشاهدون».

وهناك ما هو أخطر من حالة التقوقع الإعلامي التي تطبع المجتمع اللبناني المنقسم عمودياً،نعني تسليع المادة، أي تحويل التحقيق أو الخبر إلى سِلعةٍ تجارية تزداد الحاجةُ إلى بثِّها بمقدار زيادة إقبال الجمهور عليها كحالات الإثارة والتشويق في التحقيقات البوليسية.

ويبقى أيضاً الارتهان للجهل العام وتلك العلاقة الملتبسة القائمة بين السياسي مصدر الخبر والصحافي الباحث عن أي خبر، من دون الغوص في مصلحة هذا السياسي أو إجراء بحثٍ لمقاطعة الخبر أو المعلومة مع مصدر الخبر، بالإضافة إلى أن السبق الصحافي والتنافس على الخبر يوقع المشاهد أحياناً في نوع من التضليل غير المقصود فتصبح الشائعة أحياناً التي أصبحت غالباً ما تُبث على مواقع إلكترونية حقيقة يصعب دحضها.

وإذا كان الخروج من هيمنة ايديولوجيا التكنولوجيا والسلطة غير المرئية للصورة المرئية، أمراً يصعب تحقيقه، إلا أن بعض المؤسسات التلفزيونية اللبنانية نجحت إلى حد ما في المحافظة على الخيط الرفيع الفاصل بين الإعلام والإعلان وبين التسييس والتسويق وعلى مساحة التلاقي المشترك للتيارات والأفكار المختلفة. فكان لها التأثير الأقوى على المشاهد وبقيت في المرتبة الأولى.

ـ الإعلام المسموع: لا يختلف هذا الإعلام في لبنان عن زميله المرئي لجهة توزيعه على اساس مبدأ المحاصصة الطائفية والمذهبية السياسية ولا سيما مؤسسات الفئة الأولى السياسية التي تبث الأخبار والبرامج السياسية وفقا لقانون «المرئي والمسموع» المعمول به في لبنان،إلا أن ذلك لا يلغي طبعا دوره وتأثيره في تحريك الرأي العام، إذ إن للإذاعة خصوصيّتها بين وسائل الإعلام المختلفة، فالإذاعة هي الوسيلة الأكثر حميميّة بالنسبة إلى المتلّقي، لا تحتاج كالصحيفة والتلفزيون وجهاز الكمبيوتر إلى إستعداد ذهني وبدنّي خاصّين لتلقّي مضمونها، تتابعها ربّة المنزل والعامل والسائق، ويمكن من خلال أجهزة الترانزيست والهواتف الخلوية الإستماع

إليها أثناء ممارسة الرياضة، وقبيل الخلود إلى النوم، وفي المكتب والمصنع، وفي البيت وعلى الطريق، هي إذاً وسيلة عابرة للمكان والإنسان معاً.

وفي لبنان لا تزال الإذاعة تلعب دورا مؤثرا في الأحداث السياسية بدليل أنها لا تزال تتمتع بنسبة مستمعين عالية وخصوصا لنشرات الأخبار الصباحية والبرامج السياسية والحوارية التي تتحول مع منتصف النهار إلى مادة تداول وسجال بين القوى السياسية وكذلك مادة إخبارية للمواقع الإلكترونية الإخبارية، مثلها مثل البرامج التلفزيونية، كما تتحول هذه البرامج ومضامينها إلى مادة تعتمد من قبل الصحف أيضاً.

ويبرز تأثير العمل الإذاعي في الحوارات الخاصة التي تجريها المحطات الإذاعية، أكثر من غيره من الفقرات.

ـ الصحافة المكتوبة: إن الصحافة المكتوبة في لبنان شأنها شأن الصحافة في البلدان الأخرى، تواجه تحدياً كبيراً يتمثل في إتساع نطاق الإعلام المرئي والمسموع، إلا أن الصحافة اللبنانية منذ انطلاقتها مع خليل جبرائيل الخوري عام ١٨٥٨ عندما أصدر جريدته «حديقة الأخبار»، كانت أهم منابر التعبير عن الثقافة العربية والإسلامية عامة، وأهم وسائل الإعلام والتبليغ إلى الجماهير العربية والغربية ونشرها على الملأ.

وتعاني الصحافة اللبنانية المكتوبة اليوم بشكل عام من مشكلتين اساسيتين الأولى تقنية والثانية مادية، وتتمثل المشكلة التقنية في الغياب الفعلي لرؤساء التحرير بشكل عام وغياب الطبقة الوسطى في الصحافة التي تشكل جسر العبور بين الجيل القديم والجيل الصاعد، إضافة إلى مشكلة تدوير الزوايا او «القطبة المخفية» عندما يكون مطلوباً شئ من أحد أو «مغازلة» أحد.

أما المشكلة المادية فتعتبر العقبة الأساسية التي تقف امام تطور معظم الصحف اللبنانية والتي تحاول معتمدة على نفسها النهوض من المستنقع، وايجاد ممول من خلال صفقات مستمرة وسريعة للبقاء والمحافظة على كوادرها وقرائها، إذ تحولت معظم الصحف اللبنانية إلى مؤسسات مما سمح للعديد من اصحاب رأس المال شراء اسهم في هذه المؤسسة اوتلك، وبالتالي أصبحوا ذوي ثأثير كبير في قرارها السياسي.

إلا أن ذلك لم يلغ الدور المؤثر الكبير الذي تلعبه الصحافة المكتوبة في الأحداث السياسية في لبنان، فهي تؤثر من خلال نشر التحقيقات حول قضايا أساسية تعني حياة الناس، وكذلك هي «البريد السياسي» الذي ترسل عبرها الرسائل والمواقف من قبل القادة والمسؤولين السياسيين إلى بعضهم البعض في حالة عدم التواصل المباشر.

إضافة إلى التسريبات التي تمررعبرها والتحليلات السياسية التي تبنى على معطيات لها دورها وتأثيرها في اللعبة السياسية اللبنانية، وهي ذات دور أساسي في عكس وقائع محاضر الاجتماعات واللقاءات المغلقة ولا سيما مناقشات جلسات مجلسي الوزراء والنواب ولقاءات بعض الزعماء الكبار التي يكون لها الأثر الكبير في مجرى الأحداث السياسية.

وتكفي الإشارة هنا للدلالة على أهمية دور الصحافة، إلى ما كانت نتشره الصحف

من وقائع جلسات «الحوار الوطني» اللبناني التي جرت في مجلس النواب في آذار من العام ٢٠٠٦ والتي كانت تناقش قضايا وعناوين خلافية بين الأطراف والقوى السياسية اللبنانية والتي توقفت في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه عندما بدأت إسرائيل حربها على لبنان.